السيادة اليهودية
فى عالم السينما

سوف يكون الدليل الصغير «موسوعة شخصيات صناعة الصور المتحركة» بمثابة قسم له قيمته فى برامج دور العرض السينمائى المطبوعة، إلا أنه ليس مما يَسَّرَ التفكير فيما سوف يحدث للمدير الذى سيطبع أحد هذه البرامج.

هكذا نجد فى العقلية اليهودية صراعًا بين الرغبة فى البقاء فى منطقة عدم الكشف عن الهوية والرغبة الأخرى فى كشف الهوية. وهم أحيانًا يقيسون الصداقة حسب مقدار عمق الصمت والسكوت وعدم الكشف عن كونهم يهودًا، وفى بعض الأحيان يقيسونها على مقدار المدح والثناء، لدرجة أنك عندما تقول إن الرجل الفلانى يهودى يُحَوِّر هذا القول فى بعض الأحيان باعتباره معاداة للسامية، ويصبح فى أحيان أخرى تكريمًا لقائله باعتباره «صديقًا لأمتنا».

وفيما قيل الآن الهدف الوحيد هو إعلام وتعريف عشاق السينما بمصادر التسلية والترفيهاللذين يتوقون إليهما، وإلى أين تذهب ملايين الدولارات التى ينفقونها. وعندما ترى ملايين الناس يتجمعون على أبواب دور السينما على مدار الليل والنهار، فى صفوف لا تنتهى فى كل أنحاء العالم، تسأل نفسك ما الذى يجذب هؤلاء الملايين؟ وما الذى يسيطر على عقولهم؟ ومَنْ فى الحقيقة الذى يسيطر على هذه القوى البشرية والأفكار التى تتولد عن إيحاءات ما تعرضه الشاشة؟

مَنْ الذى يقف فى قمة جبل السيطرة؟ الإجابة فى هذه العبارة:

«إن نفوذ صناعة السينما الأمريكية ـ والكندية ـ واقع تحت سيطرة القوى اليهودية التى تتلاعب بالمزاج العام من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أقصى الحدود».

لم يبتكر اليهود فن التصوير السينمائى، ولم يشاركوا فى تطوير جوانبه الميكانيكية والتقنية، ولم يقدموا فنانين عظامًا سواء فى التمثيل أو الكتابة.

أما عن الدليل الذى يتضمن مشاهير عالم السينما وما أنجزوه، فإن هناك شركات إنتاج بارزة معروفة على نطاق واسع، مثل ذا فيماص بليرز، وسيلزنيك، وجولدوين، وفوكس، ويونايتد أرتيستس، ويونيڤرسال، ومترو، وبارامونت... إلخ.

بالنسبة لشركة ذا فيماص بليرز كان يترأسها أدولف زاكور تاجر الفراء السابق الذى كان يتنقل بين البيوت فى شارع هيستر لعرض بضائعه. وعندما كون مبلغًا من المدخرات دخل فى مجال «بزنس» المسارح ودور السينما مع ماركوس لوى، وكان فى الأربعينيات ولديه ثروة كبيرة، ويعتبر رئيس خامس أكبر صناعة فى العالم، وهى صناعة السينما التى كانت اكتشافًا من ناحية كونها أعظم وسيلة للتعليم والدعاية.

لن يخدع القارئ استخدام كلمة «تعليم» فى هذا السياق. صحيح أن فى السينما جانبًا تعليميًا لكنه تمامًا مثل تعليم مدارس الإجرام. ولا يشار إلى الجانب التعليمى فى فيلم ما إلا بسبب التهديد والوعيد الذى يحمله.

وتمتد سيطرة زاكور لتصل إلى أسماء معروفة مثل ذا فيماص بليرز وبارامونت وآرت كرافت، وهى شركات اندمجت كلها تحت لواء كيانات أكبر خلال الأعوام الخمسة الماضية.

ينتشر افتراض أن شركة يونايتد أرتيستس ليست من الشركات التى لا يهتم بها اليهود، لكن طبقًا لموضوع نشر فى «أميركان هيبرو» فإن الذى أسسها فى النهاية هو هيرام ابرامز. وقد تكونت يونايتد أرتيستس منذ سنوات عديدة، وأنشأها الأربعة الكبار بين الممثلين: مارى پيكفورد، دوجلاس ويربانكس، شارلى شاپلن، وديڤيد وارك جريفيث، وعلى الرغم من أن شارلى شاپلن يهودى فإن الشركة كان يعتبرها الرأى العام غير يهودية. وينحدر هيرام ابرامز من پورتلاند بولاية أوريجون، وقد تحول من العمل فى تجارة التجزئة وبيع الصحف إلى مدير وأحد مؤسسى شركة پارامونت إلى أن أصبح رئيسًا لها، بعد أن كان مديرًا لدار عرض سينمائى بسيطة.

أما شركة أفلام فوكس وسلسلة دور عرض فوكس فهى تحت سيطرة يهودى مجرى آخر يعرفه عامة الأمريكيين باسم ويليام فوكس، ويقال إن اسمه الأصلى

فيوكس، بدأ حياته العملية الفنية والإدارية بإدارة قاعة عرض سينمائى بدائية وكان ذلك منذ نحو ما بين ١٥ و٢٠ عامًا حين كانت تقدم عروضًا خليعة لم تصل إلى حد الإباحية أو «البورنو»، التى كانت تخاتل الجمهور بعرضها.

كان ويليام فوكس منذ ١٥ عامًا يعمل فى تجارة الملابس وهو لايزال فى بداية الأربعينيات من عمره، ويتمتع بثراء فاحش ويعد واحدًا من الرجال الذين يستطيعون أن يقرروا تقريبًا مايفكر فيه ملايين من عشاق السينما بشأن بعض الأمور الأساسية والأفكار والرؤى التى سوف ترفه عنهم.

ووصل ماركوس لو إلى الشهرة كذلك عن طريق الألعاب التى تعمل بالعملة وعروض القودفيل (الهزلية) من النوعية الرخيصة أيضًا، ثم تحول إلى صناعة السينما ويقال إنه يترأس الآن ٦٨ شركة فى أنحاء مختلفة من العالم، وهو يقترب من الخمسينيات من العمر، ويسيطر على شركة مترو بيكتشرز.

إن أسماء ماركوس لو وأدولف زاكور مرتبطة بتاريخ السينما، كل منهما كان يعمل فى تجارة الفراء وكان شريكًا فى أول مشروع للألعاب التى تعمل بالعملة. توجه زاكور إلى عالم السينما والأفلام مباشرة رغم أنه قام ببعض الاستثمارات فى مؤسسة تجارية يملكها لو، ولكن لو نوّع نشاطه بين القودفيل والمنوعات الأخرى التى أنشأ منها مؤسسات ترفيهية كبيرة جلبت له الشهرة والثراء، ويبلغ عدد دور السينما التى يسيطر عليها شخصيًا الآن ١٠٥ دار.

ويترأس شركة جولدوين للأفلام صامويل جولدوين الذى يقولون إنه ظل مشغولاً بالأمور التجارية البحتة إلى أن لفتت صناعة الأفلام نظره إليها، وقد أنشأ بشراكة چيس لاسكى وسيسيل دى ميل مؤسسة تجارية برأسمال ٢٠ ألف دولار فى ١٩١٢، وأنشأ مؤسسة أخرى بشراكة آل شوبرت برأسمال ٢٠ مليون دولار فى ١٩١٦ وتضمنت الشراكة إيه إتش وودز وآل سيلوين، وكان من نشاط هذه المؤسسة عرض أعمال لكتاب بارزين غير يهود على شاشة السينما، وهذا أمر سوف نتحدث عنه بالتفصيل.

أما شركة أفلام يونيڤرسال التى يعرفها الناس فى كل مكان باسم يونيڤرسال سيتى، فيملك استوديوهاتها كازل لامل الذى يحمل اسم والدته لامل وليس اسم

والده چوليوس باروخ، وهو يهودى ألمانى المولد كان مديراً لشركة أوشكوش للملابس حتى ١٩٠٦، ثم تحول إلى صناعة السينما وكانت أولى خطواته إدارة دار عرض سينمائى فى شيكاجو واشترى قطعة أرض كبيرة فى لوس انجلوس وبنى عليها يونيڤرسال سيتى والاستوديوهات التى أصبحت المقر الرئيسى لأعماله الإنتاجية.

يترأس شركة ذا سيلكت پكتشرز لويس سيلزنيك الذى يرأس أيضًا شركة سلزنيك پكتشرز، وكان فى مرحلة معينة نائبًا لرئيس شركة ذا ورلد فيلم.

هذا غيض من فيض، وأولئك رؤساء رسميون، أما محاولة اختراق التفاصيل فى تلك المؤسسات حتى الوصول إلى آخر عرض لأحد الأفلام فى دار عرض بسيطة فى أحد أحياء مدينة كبيرة فسوف تجعلنا نجد أن صناعة السينما من الجانب التجارى يهودية تمامًا وبكل ما فى الكلمة من معنى.

أُشير فيما سبق إلى المناصب والمراكز التى جاء منها المسيطرون على فن الدراما السينمائية، ومنهم من كان بائعًا للصحف أو بائعًا متجولاً أو كاتبًا أو مديراً لصالة منوعات، ومنتجات الجيتو. ولا يسوء أى رجل أعمال ناجح أنه كان يبيع الصحف فى بداية حياته فى الشوارع، أو يتجول بالبضائع من باب لآخر، أو يقف أمام محل بيع ملابس مناديًا المارة وعارضًا عليهم بضاعته، فهذا لايهم، فالمهم هنا هو أن الرجال الذين جاءوا من تلك الأعمال دون أى تدرج وليس لديهم سوى تمتعهم برؤية تجارية لصناعة السينما والاستعراضات ليس من المتوقع أن يفهموها، وإذا فهموها فليس من المتوقع أن تتعاطف مع وجهة النظر الخاصة بالدراما السينمائية التى تشمل كلاً من الفن والدرس الأخلاقى.

نتذكر من مقالة سابقة أن السيد لامل قال عن شركته: «إن شركة يونيڤرسال لا تنصب نفسها حارسة على الأخلاق العامة أو الذوق العام»، وربما يكون هذا نفس اتجاه منتجين آخرين أيضًا. لكن رغم تنصلهم من أى مسئولية عن الأخلاق أو الذوق فإنهم مستمرون فى التصدى لأية محاولة من الدولة لإنشاء وصاية عامة أو جهة تنسيق رسمية لإبعاد أى أعمال هابطة تتعارض مع الذوق العام، وأى عمل من شأنه هبوط الذوق العام وتدمير الأخلاقيات لا ينبغى السماح له بأن يكون قانونًا حتى على نفسه.

ومن الصعب جداً فهم كيف يستطيع قادة اليهود فى الولايات المتحدة المراوغة والتملص من حقيقة أن صناعة السينما يهودية، مما يثير سؤالاً حول المسئولية التى لا يمكن أن يلتزموا الصمت حيالها أو يتناولوها بشكل موضوعى. إن الجانب الأخلاقى فى تأثير الأفلام مسألة لا تحتاج إلى مناقشة هنا؛ لأنها تناقش فى كل مكان آخر، فأى شخص يتمتع بحس أخلاقى مقتنع بما يتم عمله وما ينبغى عمله. لكن الجانب الدعائى (البروپاجندا) فى الأفلام لا يعلن عن نفسه للجمهور مباشرة. والبرهان على أن الأفلام يمكن أن تكون مؤسسات دعائية ضخمة تأتى من خلال أنواع القضايا التى تتناولها، ويبرهن عليها أيضًا التهديد الأخير من «جبهة الأغيار» فى نيويورك بأن الأفلام نفسها يمكن أن تعوق أى تقدم يمكن إحرازه من خلال محاولات إنقاذ عطلة يوم الأحد للشعب الأمريكى.

لكن مَنْ صاحب الدعاية والبروپاجندا؟ بالطبع ليس صاحب دار العرض فى الشارع الذى تقطن فيه فهو لا يصنع الأفلام، بل يشترى بضاعة مثلما هو الحال مع البقال والمعلبات التى يشتريها ولا يجد سوى هامش ضيق للاختيار. كذلك لا يملك صاحب دار العرض أى خيار فى الأفلام التى يعرضها. فلكى يحصل على أفلام جيدة من خلال شركة التوزيع يجب أن يأخذ كل الأنواع الأخرى من الأفلام التى توزعها الشركة. فهو يعتبر سوقًا لمنتجى الأفلام وعليه أن يأخذ الجيد والردىء، وإلا يحرم من الحصول على أى فيلم.

وفى الحقيقة، فإنه بالنسبة لهوس السينما المنتشر فى البلاد، فإنه من المستحيل تقريبًا الوفاء بتزويد السوق بما يكفى من الأفلام الجيدة. فشهية بعض الناس تستوعب فيلمين جيدين أو أكثر يوميًا. وإذا كانوا من الطبقة العاملة فإنهم يشاهدون واحداً فى الظهر والكثير فى الليل، أما إذا كانوا زوجات سطحيات التفكير فإنهن يشاهدن الكثير فى فترة بعد الظهر والكثير أيضًا فى الليل. ومع هذا الطلب المتزايد لا يمكن لأصحاب المواهب والمهارات فى البلاد سدّ الحاجة من أعمال درامية طازجة وذات نوعية راقية خارجة لتوها من أفران الاستوديوهات على مدار الأربع والعشرين ساعة مثلها مثل الخبز تمامًا.

هنا تجاوز المسيطرون اليهود كل الحدود والصلاحيات، فبعد أن قاموا بتنشيط زائد لمطلب ورغبة وحاجة لا يستطيعون سدها إلا بتلك المادة التى من المؤكد أن

تقضى على الطلب. ولا يوجد ما هو أخطر بالنسبة لصناعة وتجارة السينما من المبالغة فى اشتهائها. فالشهية يجرى تنبيهها وتشجيعها إلى أن تصبح ولعًا وهوسًا مجنونًا. ومثل بزنس الصالونات الأدبية فإن بزنس السينما يقتل نفسه عندما يقتل فى زبائنه الصفات التى قام على أساسها.

والآن، بالنسبة للبروباجندا، يوجد دليل على أن متعهدى الدعاية اليهود لم يغفلوا أو يتغاضوا عن هدف الدعاية، فهذه البروباجندا بمثل ما هى عليه فى الوقت الحاضر يمكن وضعها تحت العناوين الرئيسية التالية:

إنها تنسجم مع محاولات إظهار أن اليهود ليسوا بشرًا عاديين. فهم لا يظهرون على خشبة المسرح إلا فى مواقف ايجابية غير اعتيادية. ومن المشاهد التى عرضت على الجمهور لن ترى أبدًا شارع هيستر أو حتى الشارع الخامس (فيفث آفينيو) ساعة الظهر. ولن تسعفك الذاكرة فى محاولة استدعاء مشهد فيه مجموعة كبيرة من اليهود ظاهرة للعيان.

ويحكى أنه بعد حريق مروع فى مصنع للملابس طلب عمدة نيويورك من شركة سينمائية إعداد فيلم بعنوان «الباب المغلق»، ليبين كيف تتحول العمارات إلى شرك للنار والحريق بسبب الجهل والجشع. وكتب السيناريو أحد المسئولين فى إدارة الإطفاء ممن كانوا على علم بالظروف المحيطة بكثير من الحوادث التى حدثت فيها إبادة كاملة. ولأن معظم الضحايا كانوا فتيات يعملن فى مصانع ملابس تابعة لمؤسسات صغيرة تستخدم العمال بأجور منخفضة وظروف غير صحية، فقد تضمن السيناريو مصنع ملابس تابع لتلك المؤسسة. كان الفيلم قريبًا من الواقع بقدر الإمكان. لذلك كان رئيس تلك المؤسسة يوصف بأنه عبرى أو يهودى. وقال الرجل الذى حكى الحكاية لإحدى لجان الكونجرس: «كان الفيلم تشويهًا مخزيًا للجنس العبرى، كلنا نعلم أن اليهود هم آباء صناعة الملابس؛ لأنهم فى الحقيقة صنعوا أول ملابس». لكن رغم ذلك قرر اليهود الكبار إعلان حظر على الفيلم، لأنه كسر القاعدة الرئيسية الخاصة بالسكوت وعدم خوض الحديث غن اليهودى إلا إذا كان فى موقف وظروف إيجابية واستثنائية.

توجه تلك السينما - التي لا يمكن إخفاء السيطرة اليهودية عليها - ضد الأديان غير اليهودية. فأنت لم تر أبدًا حاخامًا يهوديًا يصور على الشاشة إلا فى مواقف إيجابية

وجديرة بالتبجيل والاحترام، وفى ملابس مختارة بعناية. أما القسيس المسيحى ـ مثلما يستطيع أى عاشق للسينما أن يتذكر بسرعة ـ فقد كان يتعرض دائمًا لكل أنواع التشويه والإساءة عند تصوير شخصيته على الشاشة، بشكل كوميدى أحيانًا وإجرامى فى أحيان أخرى. وهذا الاتجاه الآن اتجاه يهودى دون أدنى شك. وكشأن كثير من التأثيرات غير المصنفة فى حياتنا التى تعود مصادرها إلى جماعات يهودية، فإن الهدف هو سحق وتدمير أى أفكار محترمة أو مبجلة لرجل الدين المسيحى بقدر الإمكان.

وسرعان ما نجح رجال الدين المسيحى الكاثوليك فى وضع أنفسهم فى موقف معارض لهذه الإساءات. وأنت لا ترى أبدًا كاهنًا مسيحيًا على الشاشة فى مواقف إيجابية أو محترمة. أما رجل الدين المسيحى من البروتستانت فيظهر على الشاشة بشكل كاريكاتورى يوحى بمعاداة المسيحية. وازداد ظهور رجل الدين المسيحى الذى يمنح الحب مجانًا على الشاشة ويبرر أفعاله بأنها استجابات لمبادئ عريضة، ليرمى عصفورين بحجر واحد. فهو يحط من شأن من يمثلون الدين فى أعين الجمهور، ويدخل فى أذهان الجمهور فى الوقت نفسه تلك الأفكار الخطيرة من المبادئ المشار إليها.

فى عدد فبراير من مجلة بكتوريال ريفيو يلقى بنيامين بى هامبتون المنتج الناجح الأضواء على هذا الأمر، وينقل عن ملصق خارج دار عرض سينمائى ما نصه: «أرفض أن أعيش معك بعد ذلك، وأبلغك أنك لم تعودى زوجة لى، سوف أذهب إليها، هى من تمنحنى الحب مجانًا» هكذا يتحدث فرانك جوردون الموقر فى أعظم الأفلام التى تصور دراما الحب المجانى.

ربما لا توافق على تصوير يهودى كصاحب لمؤسسة مستغلة على الشاشة، لكنك قد توافق على تصوير رجل دين مسيحى فى أى أوضاع مشينة سارقًا أو زانيًا وما إلى ذلك.

الخيار مفتوح أمام وجهتى نظر ترى إحداهما أن هذا التصوير الكاريكاتورى الساخر والمشين لرجال الدين تعبير طبيعى عن حالة عقلية عالمية، وتعتقد وجهة النظر الأخرى أن هذا التصوير جزء من حملة تقليدية للتدمير والدمار. ووجهة النظر الأولى تمثل الرأى السائد لدى من لا اطلاع لديهم ولا يعلمون، وهى وجهة نظر مفضلة بالنسبة لمن ينشد راحة البال. لكن هناك مؤشرات كثيرة على أن وجهة النظر الثانية لها ما يبرر السماح بتجاهلها.

تقدم شاشة السينما، سواء عن وعى أو بلا مبالاة، مشاهد تعادى مصلحة المجتمع، ولا توجد حركات تمرد أو ثورات ما عدا تلك التى خطط لها واستعد الممثلون جيداً لأداء الأدوار. وتلك أحدث ثمرات دراسة التاريخ: إن الثورات ليست تلقائية بل تصدر عن أقليات بتخطيط جيد. والثورة ليست أمراً طبيعياً للشعب، ودائماً يكون محكوماً عليها بالفشل. ولا توجد هناك ثورات شعبية. لقد تعرضت الحضارة والحرية للإعاقة من قِبَل تلك الثورات التى نجحت عناصرها التدميرية فى البداية.

هناك تطورات عديدة متواصلة فى عالم السينما جديرة بالملاحظة، منها زيادة استخدام مؤلفين غير يهود لانتاج أفلام بروپاجندا يهودية. وبدون استخدام أسماء، فسيكون سهلاً للقارىء أن يتذكر المؤلفين غير اليهود الأكثر شعبية من الذين أنتج أعمالهم للسينما منتجون يهود، والذين يُعلن عن إعدادهم لأفلام جديدة. وفى حالات عديدة تكون تلك الأفلام الجديدة مجرد أفلام دعائية يهودية، وهى أكثر تأثيراً لأن أسماء غير يهودية تساندها. وهى أسماء مشهورة فى عالم الأدب. أما كيف تنشأ هذه الحالة فلا يمكن الآن الحديث فى هذا. وليس من الصعب أن يعتقد المرء أن فكرة معاداة السامية خاطئة، وكل واحد يعلم هذا. وليس من الصعب أن يجد المرء نفسه فى حالة إعجاب بإسرائيل(*). وكل كاتب سعيد بتمجيده فرداً أو أمة، ويكون من دواعى سروره الكتابة عن بطل أو بطلة يهودية، وهكذا نجد أن غير اليهود يكتبون بروپاجندا يهودية قبل أن يكونوا مدركين لذلك وواعين به.

وهنا الخلل بطبيعة الحال: فعند تجنب معاداة السامية يقعون فى شرك تأييد السامية، وكل منهما غير حاسم مثل الآخر.

(ديربورن إندپندنت، عدد ١٩ فبراير ١٩٢١)

* * *

(*) المقصود شعب إسرائيل، أو بني إسرائيل